مملكة المرأة والبيت

خواطر فى النسائيات

بقلم عبد الحميد العمروسى

للفتاة أطوار ثلاثة : الطفولة ، الغلومة ، البلوغ . ففى منتصف دور الغلومة تبتدى أفكارها تتحدد ، ونظرتها إلى الحياة تستقر ؛ وعلى هذا ـ رويداً رويداً ـ حتى ينحصر تفكيرها فى نفسها قرب انتهاء هذا الدور ، وبذا تنتقل من الحياة الهائجة المضطربة إلى الحياة الشخصية ، إلى الحياة التى تقاس بمقدار ما تجلبه للفتاة من نفع أو ضرر .

تخلو الفتاة إلى نفسها فتجد من الرغبات والآمال ما يملأ صدرها ، ويحتل منها بؤرة الشعور ، وتطرد ما عداه من خواطر الدروس والامتحانات وما شاكلها من الشواغل التى هى فى المرتبة الثانية بله الثالثة بالنسبة للمرتبة الأولى التى هى « الحاسة الجنسية » .

تفكر الفتاة فينتهى تفكيرها إلى أن تحقيق بغيتها على أيدى الرجل . إذاً يكون الرجل نفسه محل تفكيرها .

نعم وإن كان الباعث لها على التفكير وإشغال الذهن هو هذه الحاسة ، لكنها مرغمة على التفكير فى نواح أخرى ترى أن سعادتها وقف على تحقق هذه النواحى فيمن يكون لها بعلا ؛ وهنا تتفاوت العقول ، وتتفاضل البنات ومعهن الأمهات ، فقد ينتهى التفكير إلى تطلب نواح قد لا تتحقق فى الفتى طالب الزواج ، فيرفضن من يتقدم لأنه ليس ذا خلقة جذابة ، ليس ذا ظرف وأناقة ، ليس ذا حسب ونسب ، ليس ذا كفاءة لتقديم شبكة ومهر عظيمين .

وإذا كانت هذه رغائب المدنية على تعلمها ، فليست كذلك القروية على جهلها ؛ فالقروية أقرب إلى الصواب فى الشروط التى تشترط تحقيقها فيمن تود أن يكون لها بعلا ، فتنظر فيه من الناحية الخلقية ، من الناحية المادية المعتدلة ، هى ترضى بمن يتقدم إليها ما دامت تراه صالحاً لأن يكون رجلا رب أسرة ، يستطيع القيام بأعباء الزوجية على قدر طاقته ، فلا ترهقه فى شبكة ولا فى مهر ، ولا تشترط مسكناً خاصاً ، ولا تحتم الانفراد عن الأبوين كأختها المدنية .

أجيبينى أيتها المدنية أيكما كان أجدر بالاعتدال فى الطلبات ؟ .

خبرينى وربك أيكما كان أفهم بتقدير الحياة الزوجية ، وجعلها فى مستوى أرفع من أن يقف فى سبيلها خلاف على الشبكة ، ونزاع حوال المهر ؟ .

أظن أن قد آن الأوان لأن تدعى الأمور العرضية التى تشترطينها باجحاف فيمن يتقدم إليك راغباً فى حياة روحية تسمو فوق كل اعتبار ، وبيعدك عن الاشتطاط فينهد ركن من أركان أزمة الزواج .

وإنى لآخذ عليك أيتها المدنية ظاهرة أخرى شغلت تفكيرك ،ولا تقل خطراً عن تفكيرك فى الشروط السالفة الذكر،هاته الظاهرة تفعلينها على أنها نافعة مجدية ، ولو كنت تدركين سوء مغبتها ما أقدمت عليها . لذا لزم علينا دينياً وأدبيا تنبيهك إليها ، وتحذيرك من عاقبتها .

نرى الفتاة المدنية تميل إلى التعارف ، تميل إلى الاختلاط معللة النفس بالمنى ، لكن سوء تدبيرها خيب آمالها، إذ نراها تجنح إلى التعارف بغى ـ ما دامت تجد فيه بغيتها ـ فتعطيه من دلها ورقتها ما يستهويه ، ثم هى لا تكتفى به، بل تجد وتبذل جهدها فى الاتصال بثان وثالث ورابع . . . وهنا لا أنكر مهارتها فى إيجاد صلة بينها وبين من تريد . . . وهذه خطة إن أجدت مرة فقد أعقبت مراراً ، والحوادث ناطقة شاهدة على سوء المصير .

ثم لكل فتى رغبات ، فقد يدعوها هذا إلى نزهة خلوية ولا مناص لها من تلبية الطلب ، فما الذى يضطرم فى صدر الثانى إذا رآها متخاصرين متأبطين ؟ .

قد يتصادف ويتصادق اثنان،أو فى مجلس يجتمعان،ويفضى كل منهما إلى صاحبه بمكنون سره ، فاذا محبوبة أحدهما محبوبة الآخر ؟ فما موقفهما معاً ، وما موقفهما إن قضت الظروف بأن ينازعهما فى حبهما اثنان آخران ؟ .

هى وإن كان غرضها من كثرة التعارف تزيياً ، لكنها لا تضمن أخلاق كل فتى تميل إليه بهذه السهولة ، فقد يكون بحيث لا يرعى للفضيلة حرمتها ، ولا يحفظ للنزاهة قدسيتها ، فيتظاهر بالصبابة ، وما هو بالولهان ، ويتصنع شدة الشوق ، وما هو بالمحب ؛ فتأسرها هذه المظاهر الكاذبة ، وتظنه صادقاً فى توسلاته ؛ أميناً فى تضرعاته ، فتسلس له القياد ، فتقع فى المحظور ، ثم يتركها تجر أذيال الخيبة والفشل ، ولا أمر فى الخلق من بنان الندم ، وكثيراً ما سمعنا بحوادث من هذا القبيل ، ذهبت ضحيتها فتيات ، لولا إلهامهن ما وقعن .

على أنه يجدر بكل فتاة ذاك شأنها أن تتق وتتأكد أن الفتى الذى تتزين لارضائه ،وتتبختر لأسره ، وتلبى داعيه لابقاء وده ـ لو قيل له:أترضى بهذه زوجاً لك ؟ لأبى وشمخ بأنفه وأجاب مسرعاً : حاشاى أن أتخذ زوجاً من وزعت قلبها بينى وبين غيرى فى أهم أدوار حياتها .

إنه لحق فى هذه الاجابة ، ومنصف فى هذا الرفض، فهى فى الوقت الذى أسلست له قيادها قد أسلسته لغيره فتعودت سهولة الانقياد ، ومرونة الطباع ، وبذا تكون قد فقدت أعز خواص المرأة من التحصن والاحتباس .

هذا وغير هذا يقول علماء النفس : إن الخاطر الذى يحتل بؤرة الشعور لا يزول كلية ، بل تختفى صورته ويبقى أثره ، فاذا ما اهتاج الأثر بأى سبب جاءت الصورة وحل الخاطر ، فهذه التى مالت للكثيرين ، وأخلصت لكل واحد على انفراد لن تنسى ما كان بينهم

وبينها من الشئون ؛ فهى لا تفتأ تتذكرهم ، وتحن إليهم حنيناً قد يفوق حنينها إلى زوجها .

نخرج من ذلك إلى أن مراقبة البنت فى هذا الطور من أزم الأمور ، ولا تكون المراقبة بحبسها والتضييق عليها ، فهى كالوعاء ، لا يلبث أن ينفجر ؛ وإنما نضع الخطط الناجعة ، ونرسم الطرق النافعة ، ثم نجعلها تسلك هـذه الطرق دون أن تشعر بأنها مجبرة على سلوكها ، فنحفظها من الاختلاط بقرينات السوء ، ولا ندعها فى البيت ، لا هم لها إلا المرآة والتجميل ، وإنما نشغلها ، فاشغالها يقطع عليها سلسلة التفكير فى نفسها ، ونحترم رأيها ، ولا نبدى لها احتقارنا ، بل نشعرها بأن لها شخصية كعضو فى الأسرة نافع ، ونحسن معاملتنا أمامها حتى لا تتأثر بسوء آتنا .

وليس مثل هذا العلاج صالحاً لكل فتاة ، فما يصلح لواحدة قد لا يصلح لأخرى ، وإنما يجب أن يختلف علاجهن باختلاف أمزجتهن وطبائعهن وبيئاتهن ، كما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم ، ومن هنا تنشأ الصعوبة التى تلاقيها الأمهات الجاهلات فى تقويم فتياتهن . ؟

(عمروس) عبد الحميد العمروسى

حول الجنس الاسود

(بقية المنشور على الصفحة رقم ٣٧٢)

ويستهويه ، وإن دراسة عقول الشعوب المتوحشة والبائدة تحتاج إلى أمهر الباحثين وأحذقهم ، لأنها تتضمن عقد مشابهة ومقابلة بين مظاهر عقولنا ومظاهر عقولهم ، وتحتاج إلى قوة كبيرة من الخيال تنتقل بنا إلى عالمهم البصير ، لنرى بأعينهم ونسمع بآذانهم ، وتقاسمهم الفكر والوجدان .» ، فهل يعقل فى شرعة الانصاف ـ والأمر كما ترى ـ أن يقتدر المرء على الوصول إلى أفئدة الناس وهو بمنأى ، فيحكم عليها ـ لأدنى ملاحظة لا تنهض بدليل ـ بركود القرائح وخسة الطباع ، ويزعم بملء شدقيه ؛ بأن قوة ذكاء الشيخ المحنك من السود لا تعدو قوة ذكاء الطفل عند الأمم البيضاء ؟ اللهم إنى :

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

ولذلك رأيت ـ وقد دبت إلى الشرق تلك النعرات الجلدية ، المتفشية فى العالم المقول عنه ، أرض الحرية والمساواة والدمقراطية والعدل ـ أن أنشر هذه الكلمة الموجزة ، راجيا أن ترفع عنيهية مما علق بالأفكار ، ريثما يوفقنى المولى ـ الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ـ لطبع كتيبى الذى سأشرع فى تأليفه للبرهنة على فحوى هذا المقال بكلام : روحه العلم ، وشيمته النزاهة ، وغايته التنقيف ، ورائده الانصاف وهو حسبى ونعم الوكيل . ؟

محمد مسعود فشيكه